علم الاجتماع الريفي

يُعَدُّ علم الاجتماع الريفي من العلوم الحديثة النشأة مقارنة ببقية العلوم الاجتماعية، ولكن ما لبث أن أخذ موقعه ضمن العلوم ليعد من أهم العلوم الاجتماعية في وقتنا الراهن؛ وذلك لعدة أسباب وعوامل، وفي هذا الفصل سنعمل على عرض أهم المراحل التي مرَّ بها على الاجتماع الريفي حتى غدا علمًا مستقلًا له اتجاهاته النظرية ودراساته الميدانية.

أولًا_ علم الاجتماع الريفي النشأة والتطور:

عاش الناس طويلًا حياة القرى قبل ان ينتقلوا إلى حياة المدينة (التحضر)، إلا أن الاهتمام بدراسة هذه المجتمعات يُعَدُّ حديث النشأة (القرن التاسع عشر)، وهذه الدراسات التي تتمحور حول المجتمعات الريفية تستخدم مصطلح (القرية) في الكتابات السوسيولوجية والأنثروبولوجية؛ للإشارة إلى مجتمع محلي صغير الحجم يعتمد على الزراعة اعتمادًا أساسيًّا.

وتميز هذه الكتابات بين (القرية Village) والمعسكر القبلي، العزبة، الضاحية الحضرية والمدينة الصغيرة، على الرغم من أن الحدود الفاصلة بين هذه المفاهيم قد لا تكون واضحة في بعض الأحيان.

وتُعَد القرية أقدم التنظيمات البشرية وأكثرها رسوخًا وأطولها استمرارًا حيث يصل عمرها في بعض مجتمعات آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية وجنوب أوربا إلى آلاف السنين.

وإذا كان استزراع النباتات قد عرف لأول مرة منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد في جنوب شرقي آسيّا، إلا أن ظهور القرى الحقيقية المعتمدة على عمل إنتاج الطعام لم يتم إلا بعد ثلاثة آلاف عام تالية.

ففي شمال شرق العراق ظهرت القرية في سنة (6750) قبل الميلاد، وفي مصر حوالي (5000) قبل الميلاد، وفي أوربا سنة (4000) قبل الميلاد، ثم ظهرت بعد ذلك في غرب إفريقية في سنة (1500) قبل الميلاد تقريبًا.

والواقع أن ظهور القرية المبكرة ارتبط بثورة إنتاج الطعام التي أدت إلى ظهور حياة قروية مستقرة بدلًا من حياة القنص والالتقاط، وما لبثت فنون الاستزراع أن انتقلت عبر مناطق مختلفة من العالم؛ مما أدى إلى مزيد من تحكم الإنسان في البيئة التي يعيش فيها[1]

وكانت المدينة المبكرة مجرد بلدة بالمعنى الحديث تتألف من خمسة أو عشرة آلاف من السكان تقريبًا.

والأقاليم التي عرفت حياة المدن مبكرًا بلاد ما بين النهرين، ودلتا النيل، ووادي هويج بالصين، ووادي الهندوس، وانتشرت المدن قبل المرحلة المسيحية في أرجاء أوربا وآسيا، وإن نسبة قليلة من سكان العالم هي التي تقطن المدن قبل الثورة الصناعية [2].

واستمر الوضع كذلك حتى الفترة التي تلت الثورة الصناعية مباشرة ونمو المدن على حساب الريف فهذا التطور قسَّم المجتمعات الى قسمين متميزين، هما: المجتمع الريفي، والمجتمع الحضري، ويحاول كل عالم أن يضع أسس التفرقة بين كل من الحياتين الريفية والحضرية، ويؤكد جميعهم أن الحياة الاجتماعية في المناطق الريفية تتميز بخصاص تفرقها عن تلك التي تتسم بها الحياة الحضرية، فهناك الريف بطابعه البسيط العالي و ثقافته التقليدية الرتيبة، وهناك المدينة بطابع حياتها المعقد حيث تقوم علاقات الأفراد على المصلحة والمنفعة وثقافته سريعة التغير، وقد اشار كثير من علماء الاجتماع الأوائل إلى الاختلاف، نذكر منهم: العالم العربي (ابن خلدون) الذي أشار إلى مجتمع البدو ومجتمع الحضر قاصدًا بالأول مجتمع الريف، وبالثاني مجتمع المدينة، وأشار العالم الفرنسي (اميل دوركهايم) إلى العلاقات الاجتماعية في المجتمعين.

إن المجتمع الريفي أو الجماعة المشابهة له تتسم بعلاقة تماسك ميكانيكية حيث يتعامل أفراد المجتمع تلقائيًّا ويستجيبون لبعضهم ميكانيكيًّا، كما أن هناك على الطرف الآخر علاقة ذات طابع عضوي تعتمد على تبادل المنفعة في استجاباتها وتماسكها (الناحية الحضرية) [3].

وحاول كثيرٌ من العلماء أمثال: (هوارد بيكر) و(روبرت روزفيليد) و(سوردكون) والعالمين الأمريكيين (لومس) و(بيجل) التعبير عن اختلاف النمط المجتمعي الريفي عن النمط المجتمعي الحضري وكانت محاولاتهم ذات قيمة في مراحل الدراسات الاجتماعية الأولى حيث ساعدت على زيادة المعرفة المتعلقة بطبيعة الحياة الاجتماعية وأسلوبها في هذين النمطين، فالأمر الذي لا

---

[1] - السيد الحسيني، مفاهيم علم الاجتماع، دار قطري بن الفجاءة، قطر، 1985، ص81.
[2] - السيد الحسيني، المرجع السابق نفسه، ص104.
[3]- أحمد علي فؤاد، ميادين علم الاجتماع الريفي. دار النهضة العربي، بيروت، 1918، ص 50.

جدال فيه أن القرية تتميز عن المدينة، وأن الريف غير الحضر وحاجته إلى دراسات خاصة، وإلى باحثين متخصصين ومتمرسين لا شك فيه.

1- نشأة علم الاجتماع الريفي:

إن علم الاجتماع الريفي علم يطبق المنهج العلمي على دراسة المجتمع الريفي وهو حديث النشأة، ويمثل فرعًا من فروع علم الاجتماع، فإنه يرتبط بالفروع الأخرى، بل يرتبط بالعلوم الاجتماعية كلها ارتباطًا قويًّا لأن كلًّا منها يعكس نشاط الإنسان؛ بل ومعاناته في فهم العلاقات الاجتماعية، وفهم طبيعة هذه العلاقات كان لابد لعلم الاجتماع ان ينقسم لفروع عدة لفهم طبيعة المجتمع المتغير والمتطور، وهذا التطور أثر تأثيرًا مباشرًا في تطور العلوم الإنسانية وتخصصها وتفرعها.

2- مراحل تطور علم الاجتماع الريفي:

أ- نشأة علم الاجتماع:

يشكل المجتمع البشري وما ينطوي عليه من ظواهر اجتماعية وثقافية موضوعًا أساسيًا للعلوم الاجتماعية العامة، وبما أن علم الاجتماع واحدٌ من تلك العلوم الاجتماعية فقد اهتم كثيرًا بدراسة المجتمع البشري والسلوك الإنساني بصوره شتى، وذلك بهدف الكشف عن طبيعة هذا السلوك ، وتحديد خواصه من ناحية ثم تقويم التفسير السلوك للإنسان من ناحية أخرى [4].

كما أن التأريخ للسوسيولوجية مهمة دقيقة لا تخلو من صعوبات ومخاطر. فأول صعوبة يواجهها مؤرخ علم الاجتماع تتعلق بتحديد بداياته التاريخية.

لقد كتب الكثير حول (رواد نظرية علم الاجتماع) وكان جانب كبير مما كُتِب أسير النقل لا العقل، وجانب ثانٍ كتب حول أسماء لم تكن مهمته أساسًا بعلم الاجتماع، أو كان تأثير بعضها محدودًا جدًّا ، لم يتعد نطاق فترة زمنية لا تذكر في تاريخ العلم.

يشهد تاريخ الريادة في نظرية العلم بأن (علم الاجتماع) ولد على يد (ابن خلدون1332-1406م)، وأعطاه اسمه، وكتب له شهادة هذا الميلاد (أوغست كونت1798-1857م) وقد بلغ سن الرشد على يد (كارل ماركس 1818 -1883) الذي أسهمت أفكاره في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية، وعُدَّ (ماركس) أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ ، ونشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمها: " بيان الحزب الشيوعي 1848 " و"

---

4 - السيد علي شتا ، النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع ، الجزء الثاني ، الإسكندرية، 1995، ص 5.

رأس المال 1867 " وهذا الكتاب من أهم الأعمال الفكرية التي صدرت في القرن التاسع عشر [5].

ويُعَدُّ العلامة العربي (ابن خلدون) وهو: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي) أول من أشار إلى ضرورة إنشاء علم الاجتماع (علم العمران والاجتماع البشري)، وبدأ الاهتمام بوضع تسمية لهذا العلم في الربع الأول من القرن التاسع عشر.

والجدول رقم (1) يوضح تطور تسمية علم الاجتماع حتى شاع مصطلح(علم الاجتماع) [6].

الجدول رقم (1)

علم الاجتماع 1839	أوغست كونت
علم الفيزياء الاجتماعية 1835	أدولف كتيليه
الفيزياء الاجتماعية 1822	سان سيمون وأوغست كونت
علم المجتمع 1785	كوند روسيه
علم العمران القرن (14) م	ابن خلدون

من أشهر كتب (ابن خلدون) " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" ويُعد موسوعة تاريخية، يقع في سبع مجلدات يتصدرها كتاب " المقدمة "، التي تميزت بالموسوعية، واحتوت على عدة أفكار وآراء جعلت الباحثين يعدون (ابن خلدون) مؤسسًا لـ (علم الاجتماع) .

وبعد استخدام (أوغست كونت) لمصطلح (علم اجتماع) في المراحل الأخيرة على نحو ما أسلفناه، فهو من أعطى (علم الاجتماع) الاسم الذي يعرف به الآن، وأكد (كونت) ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، ومن أهم مؤلفاته: " محاضرات في الفلسفة الوضعية " و " نظام في السياسة الوضعية ".

– ويدرس (علم الاجتماع) (الظواهر الاجتماعية أو أحوال الاجتماع الإنساني).

الظواهر الاجتماعية: هي النظم والقواعد والاتجاهات الخاصة التي يشترك في اتباعها أفراد مجتمع ما، ويتخذونها أساسًا لتنظيم حياتهم العامة، وتنسيق العلاقات التي تربط بعضهم ببعض، وتربطهم بغيرهم؛ كالنظم التي يسير عليها المجتمع في شؤونه السياسية والاقتصادية والخلقية والعائلية والقضائية... وما إلى ذلك [7].

---

[5] - عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع – عالم المعرفة سلسلة 44 ، 1981، ص76 .
[6] - السيد علي شتا، المدخل إلى علم الاجتماع ، مرجع سبق ذكره ، ص23.
[7] - علي عبد الواحد وافي ، علم الاجتماع ، الطبعة الثانية ، دار النهضة ، مصر للطبع والنشر ، ص5.

إن (علم الاجتماع) هو علم دراسة الإنسان والمجتمع دراسة علمية تعتمد على المنهج العلمي وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث.

كما أنه العلم المتخصص الذي يعنى بدراسة المجتمعات والجماعات بهدف التعرف إلى بنيتها الأساسية ونظمها المحورية، وما يطرأ عليها جميعًا من تغيرات وتحولات. ويعتمد علم الاجتماع على مجموعة من الوحدات التحليلية الأساسية، من بينها: النسق الاجتماعي وما يضمه من أنساق فرعية، والنظام الاجتماعي، والبناء الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية والجماعات والتنظيمات.

فلا يمكن لأي علم من العلوم أن يُلِمَّ بجميع الظواهر الاجتماعية متعددة الأبعاد، وهذا يعني أن علم الاجتماع كونه العلم المتخصص بدراسة الظواهر الاجتماعية لا يمكن أن يُلِمَّ بجميع فئات الظواهر الاجتماعية، ولا يتعمق في تحليل أبعادها المختلفة. ويرجع ذلك في أساسه لكون الظاهرة الاجتماعية متعددة الأبعاد، والجوانب.

أدى هذا الأمر إلى أن تقسيم علم الاجتماع إلى فروع عدة لتناول الظواهر الاجتماعية المتعددة والمتشابكة ضمن المجتمعات الإنسانية.

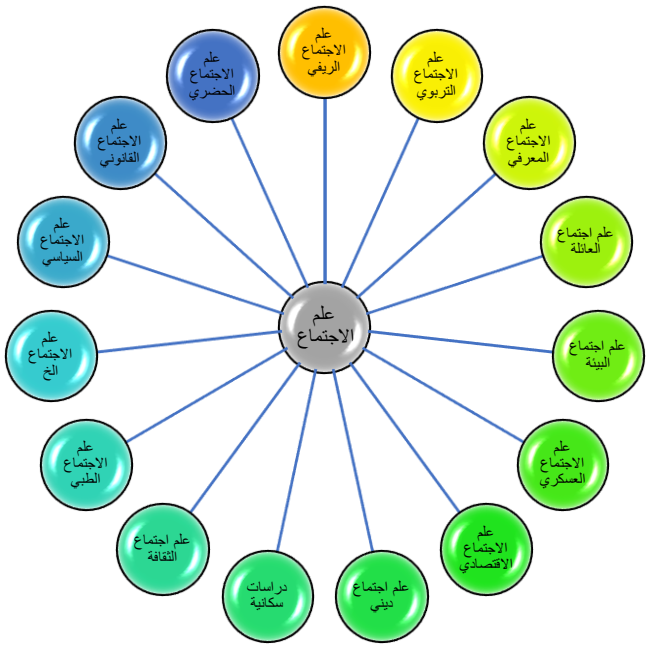

المصدر مؤلف الكتاب.

ومنه نجد أن (علم الاجتماع الريفيRural Sociology) هو أحدِ فروع (علم الاجتماع العام)، وقد نشأ هذا العلم حديثًا جدًا، إلا أن فكرة (المجتمع الريفي) تعد فكرة قديمة قدم المجتمع الريفي ذاته، وعلم الاجتماع الريفي هو أحد الفروع التطبيقية لعلم الاجتماع العام، نشأ

بداعي الحاجة العملية إليه أوّلًا في (الولايات المتحدة الأمريكية) حيث واجهت (أمريكا) في نهايات (القرن التاسع عشر) وبدايات (القرن العشرين) مشاكل كبيرة في ريفها المتنامي لم تستطع السياسات ولا التنظيمات الإدارية ولا وسائل الدعم التقني ولا جهود الخدمة الاجتماعية القيام بها. / وهذا ما سيتم التوسع في شرحه لاحقًا /.

والواقع أن (علم الاجتماع الريفي) لم يحظ بالاهتمام الذي حظيت به الفروع الأخرى في (علم الاجتماع)، ربما يعود السبب إلى هذا النمو السريع الذي تشهده المدن على حساب الريف، فهذا التطور قسَّم المجتمعات البشرية إلى قسمين متميزين، هما المجتمع الريفي، والمجتمع الحضري ، ولكل من المجتمعين خصائصه التي تميزه عن الآخر، وهذا ما أكده الباحثون والمفكرون مثل (ابن خلدون) الذي أكد وجود اختلاف بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري.

لكن البحوث كانت تحظى بدراسة المجتمعات الحضرية مغفلين النظر إلى ما يحدث في المجتمعات الريفية. ويعود الاهتمام بدراسة المجتمع الحضري إلى (الثورة الصناعية) التي أحدثت تغيرًا كبيرًا، ثم أدت إلى تزايد سكان المدن على حساب الريف بسبب الهجرة الريفية إلى المدينة، وهذا بالتالي أسهم في تخلخل المجتمع الريفي وأدى إلى قلة الأيدي العاملة في الريف وازدياد المشكلات الاجتماعية؛ لذلك ظهر الاهتمام بالدراسة الريفية والتنمية الريفية [8].

لاسيما وأن سكان الريف يمثلون الغالبية العظمى من المجتمع ؛ فضلًا عن أن المجتمعات الريفية تعيش في إطار اقتصادي واجتماعي وثقافي يتسم بالتخلف والركود.

---

[8] - كمال التابعي، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار المعارف، الطبعة الأولى، مصر، 1993، ص7.

ب- موقع علم الاجتماع الريفي في نظرية المعرفة:

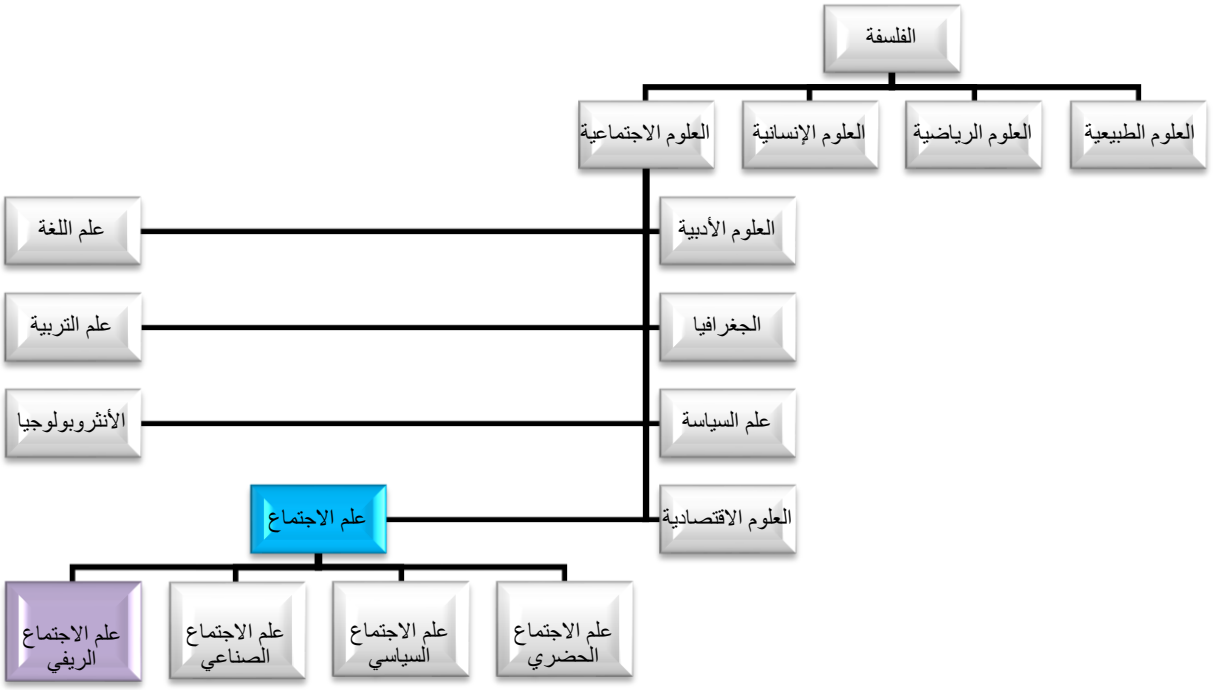

المصدر مؤلف الكتاب

يُعَدُّ علم الاجتماع علمًا حديث النشأة، حيث بدأ كفرع لعلم الاجتماع في القرن التاسع عشر من خلال أساتذة أمثال سير هنري مين (Sir Henry Maine) ، و(إتون Etton) و(ستيمان Stemann)، وبادين بأول (Baden Powel) وسليتر وبالوك (Slater and Pallok وآخرون)، وقد تفاقمت المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في أمريكا في الفترة ما بين (1890-1920)، حيث تعرضت مجتمعات ريفية كثيرة إلى مشاكل خطيرة نتيجة للتحضر والتصنيع (Urbanization and industrialization)، مما أثار اهتمام العلماء والمثقفين والذي أدى إلى نشأة هذا العلم كمجال أكاديمي.

هذا وقد أصبح الكثير من اهتمام علم الاجتماع الريفي ينصب الآن على الأعمال الزراعية التجارية والجوانب الاجتماعية للإنتاج المزرعي، والهجرة الريفية والجوانب الديموغرافية السكانية الريفية والبيئة Agribusiness الريفية، وتنمية الرفاهية الاجتماعية، والسياسات الخاصة بالحيازة الزراعية، والصحة الريفية، والتعليم الريفي، والشباب والمرأة الريفية، والطبقات الاجتماعية الريفية، والإدارة المحلية، والقيادة الريفية، والمشاكل الاجتماعية الريفية .... والى غير ذلك [9].

---

[9] - انظر: محمد نبيل جامع ، علم الاجتماع الاقتصادي ، الأصول الاجتماعية للتنمية الاقتصادية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2010، ص107.

ويتميز المجتمع الريفي عن المجتمع الحضري بسيطرة نسبية للحرف الزراعية، وبالعلاقة الوثيقة بين الناس، وبصغر حجم تجمعاته الاجتماعية مع درجة عالية من التجانس الاجتماعي وضحلة التميز والتدرج الداخليين ؛ فضلًا عن ضآلة الحراك الرأسي والوظيفي. لهذا فإن المجتمع الريفي التقليدي يحيط به إطار من الود الجماعي الكبير [10].

فعلم الاجتماع واحدً من العلوم الاجتماعية تفرع عنه علم الاجتماع الريفي والحضري والعائلي والسياسي والصناعي ... الخ. والذي يهمنا هو **علم الاجتماع الريفي.**

علم الاجتماع الريفي: هو أحد العلوم التطبيقية لعلم الاجتماع العام، وهو علم حديث النشأة تعود نشأته إلى أواخر القرن التاسع عشر حيث أخذت المدن في الولايات المتحدة بالنمو والتطور والازدهار فكبرت مساحتها وازداد عدد سكانها وتنوعت منظماتها ومؤسساتها على حساب الريف الأمريكي حيث هجره بعض سكانه، وتعثرت مؤسساتها، وواجه الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وأخذت أحواله تزداد سوءًا وإضرابًا؛ الامر الذي أثار اهتمام العلماء والسياسيين والمصلحين الاجتماعيين ورجال الدين ولفت أنظارهم إلى ضرورة العمل والنهوض بمستوى الحياة الريفية. وكان هذا بوابة الاهتمام بالحقائق والمعلومات والمعارف جميعها عن نواحي الحياة والمناطق الريفية الأمريكية جميعًا[11].

أما من الناحية التاريخية، فقد تأصل هذا العلم في (الولايات المتحدة الأمريكية) وحاول هذا العلم ان ينبه الأذهان على المشكلات الحادة التي يعاني منها القطاع الريفي في المجتمع الامريكي وضرورة دراسته [12].

وكانت غالبية هذه الدراسات ذات صبغة تطبيقية تهتم بمشكلات الحياة الريفية والرغبة في إصلاحها وعلاجها، وسوف نتناول الوضع الأكاديمي الذي تحتله، وسيسيولوجيا المجتمع الريفي في كل الولايات الامريكية وفي أوروبا وفي البلدان النامية .

ت- الدراسات الاجتماعية الريفية في الولايات المتحدة الأمريكية:

مرت الدراسات الاجتماعية الريفية في الولايات المتحدة الأمريكية بثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى (1890-1945): فترة (الاستغلال)

وهي التي عكست حقيقة اهتمامات هذا العلم حيث انشغل العلماء في ذلك الوقت بوضع الأساسات المنهجية والمبادئ العلمية لدراسات هذا العلم الذي نشأ في فترة (الاستغلال) Exploiter Period تلك الفترة كان يعاني فيها المجتمع الأمريكي من فساد واضح، وظهرت

---

[10] - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص52.
[11] - حسن علي حسن، المجتمع الريفي والحضري، المكتب الجامعي الحديث، 1987، ص 13.
[12] Tl . smith the socioiogy of rutailife n v h areethd bros.1953 p10

الدراسات التي تحلل المشكلات، وتصغ القوانين التي تساعد على تنمية المجتمع الريفي التي ساعدت على ميلاد علم الاجتماع الريفي [13].

كما كان لنشر كتاب " الأساس التصنيفي لعلم الاجتماع الريفي" في (عام 1930) إسهام مهم ؛ بل وحاسم في تقدم علم الاجتماع الريفي. ومن ثم يعد سوروكين (Sorokin) وزيمرمان (Zimmermann)،وجالبن(Galpin)،وتايلور(Taylor)، وكولب (Kolb)، وبرونز(Brunner)، وسيمز(Sims)، وساندرسون (Sanerson)، ولانديس(Landis)، وريدفيلد (Red field)، وسميث (Smith)، من أبرز المفكرين الاجتماعيين في الولايات المتحدة الأمريكية، التي أدت أعمالهم الفكرية إلى تقدم هذا العلم الجديد؛ أي (علم الاجتماع الريفي).

ومن العوامل التي أسهمت أيضًا في تطور (علم الاجتماع الريفي) تأسيس " مجلة علم الاجتماع الريفي " (عام 1935) و" الجمعية الاجتماعية لـ (علم الاجتماع الريفي عام 1937) اللتين كانتا بمنزلة العلامة البارزة في نمو هذا العلم.

هذا فضلًا عن الدور الكبير الذي قامت به (الولايات المتحدة) في إثراء (علم الاجتماع الريفي) وتقدمه حيث قامت بتجميع الدراسات المختلفة وتنظيمها عن طريق منظمات متعددة، مثل: "اليونو" و"اليونسكو" و"الفاو" وغيرها من المنظمات، مما أسهم في سرعة نمو هذا العلم وتطوره وانتشاره في الأقطار المختلفة [14].

وفي تلك الفترة حقق (علم الاجتماع الريفي) مكانة راسخة ، ونال اعترافًا واسعًا ، ولاسيما في كليتي الاقتصاد والزراعة ومن ثم علم الاجتماع .

المرحلة الثانية بين عامي (1946–1955):

وهي مرحلة نقاهة النظام والمكننة والتحضر، وهي مسائل أثرت تأثيرًا كبيرًا في الحياة الريفية وفي عمل أصحاب تيار المجتمع الريفي هناك [15].

ولقد شهدت هذه المرحلة نمو الدراسات الريفية السوسيولوجية وازدهارها خاصة بعد تحول اهتمامات الأنثربولوجيا الاجتماعية نحو هذه المجتمعات، ولقد كان كروبر (Kraper) من أوائل الأنثربولوجيين الذين لفتوا الانتباه على دراسة المجتمعات الريفية، وكان أهم ما يميز هذه المرحلة أنها جاءت لتعكس واقع المجتمعات الريفية التي شهدت تغيرات اجتماعية خطيرة نتيجة لتعرضها لقوى التحديث والتأثيرات الحضرية.

---

[13] - رشاد غنيم، نشأة علم الاجتماع الريفي وتطوره، موقع الدكتور السيد غنيم، 2014، أخر مراجعة للموقع بتاريخ: 20-4-2019. http://drsayedghonim.blogspot.com/2014/03/blog-post.html

[14] - عدلي علي أبو طاحون، علم الاجتماع الريفي – جامعة المنوفية، كلية الزراعة، 1997، ص13.

[15] - محمود عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص21 -22.

المرحلة الثالثة بين عامي (1956– 1990) :

وهي مرحلة الرفاه الاقتصادي التي أثرت في المجتمع الأمريكي ككل والزراعة المصنعة ونمو الضواحي ، وارتفاع مستوى المعيشة ، والتقلص الكبير لسكان المزارع.

وتعكس هذه المرحلة العلاقة بين علم الاجتماع الريفي من ناحية وعلم الاجتماع الحضري من ناحية ثانية.

وهنا انتشرت البحوث الاجتماعية الريفية، وأصبح (علم الاجتماع الريفي) علمًا قويًّا ونشيطًا في الولايات المتحدة الأمريكية مقارنة مع باقي الدول؛ وذلك بسبب شعور الهيئات الحكومية والأهلية الأمريكية بأهمية المجتمع الريفي، وبذلك رصدت الحكومة الاعتمادات المالية لدراسة هذه المجتمعات.

- **يمكننا أن نلتقط من هذا العرض بعض الملامح الرئيسة لـ (علم الاجتماع الريفي) في أمريكا نستطيع أن نلخصها فيما يأتي :**

– كان الاهتمام في المرحلة الأولى وهي مرحلة الأزمات والكوارث السابقة على الحرب العالمية الثانية منصبًّا على (مشكلات المجتمع الريفي) لاعتبارات الخدمة الاجتماعية إلا أن بعض العلماء كان يعالج موضوعات سوسيولوجية تقليدية كـ (المجتمع المحلي والتعليم والأسرة والتقسيم الطبقي والهجرة...) لكنها كانت تعالج أيضًا حينما تعاني من مشكلات معينة؛ أي أنها لم تكن تدرس دراسة أساسية ؛ بل لأهداف تطبيقية وعملية، وكانت لا تستخدم مناهج وإجراءات علمية دقيقة.

– تحول الاهتمام منذ الحرب العالمية الثانية من المشكلات الاجتماعية إلى الموضوعات ذات الدلالة السوسيولوجية ليس فقط تلك الموضوعات التقليدية في تراث علم الاجتماع الريفي كالتنظيم الاجتماعي؛ وإنما يهتمون بموضوعات ذات أهمية كبرى في علم النفس الاجتماعي والاتجاهات والشخصية والمطامح والقيم والقيادة وغير ذلك.

ونلاحظ أن تيار علم الاجتماع الريفي في الولايات المتحدة يمكن عرضه بالآتي: قدم علم الاجتماع الريفي في الولايات المتحدة خلال السنوات الأولى من القرن العشرين إسهامات كبرى للإطار النظري في علم الاجتماع، إلا أن هذه الإسهامات قد تقلصت فيما بعد . ولقد أسهمت هذه المقاييس والمفاهيم الإيكولوجية التي طورها جالبي (Galpin) في تطور مدرسة شيكاغو كما أسهمت أيضًا في إثراء التراث العلمي في دراسة المجتمع المحلي، كما أسهمت دراسات الميدان الريفي في تقويم عدد من المناهج الديموغرافية الحديثة واختبارها، كذلك أوضح شولر وكوفمان (Kaufman وSchuler) جدوى استخدام الإخباري المحلي، ودور الأسرة أول ما

درست ضمن ميدان علم الاجتماع الريفي. لقد ركز العلماء على دراسة الواقع، وأهملوا تطوير النظريات. وهذا لا يعيب المختصين في علم الاجتماع الريفي، لأن مثل هذا العمل لا يأتي عادة من قبل الباحثين الميدانيين.

ومن الجدير بالذكر أن تراث علم الاجتماع الريفي الأمريكي يفتقر إلى الدراسات الثقافية المقارنة؛ بل إن هذا التراث يفتقر حتى إلى عقد مقارنات بين مجتمعات محلية في الولايات المتحدة نفسها، ويرجع ذلك إلى عدم الربط بين النظرية والبحث، وإغفال وضع مشكلات البحوث في سياقات نظرية.

وهناك ملاحظة أخرى على تناول المتخصصين في الاجتماع الريفي الأمريكي لموضوعات علم الاجتماع التقليدي فهم حين يدرسون الأسرة يختزلونها إلى مجرد دراسة أسلوب حياتها، ثم يلجأون في بعض الأحيان إلى استخدامات التقنيات الأنثروبولوجية التي لا يمكنهم استخدامها بمهارة بحكم انتمائه لكليات الزراعة ذات الطابع الخاص هناك، فتخرج دراستهم سطحية إذا ما قورنت بدراسات علماء الاجتماع الآخرين.

وفي معالجتنا لموقف الدراسات الاجتماعية الريفية في الولايات المتحدة يجب أن نشير إلى التيار الثاني من هذه الدراسات ونعني تيار الأنثروبولوجيا الريفية .

سبق أن ذكرنا أن تيار الأنثروبولوجيا الريفية يمكن رده إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية والاتجاه الوظيفي منها بخاصة، من ناحية ، وإلى تقاليد مدرسة شيكاغو التي بلورها (روبرت ردفيلد) من ناحية أخرى. وقد أشرنا في موضع سابق إلى أن جلبين وهو من رواد تيار الاجتماع الريفي قد أسهم بمقاييسه الإيكولوجية في نمو هذه المدرسة وتطورها، وهو من ناحية أخرى من أوائل الذين أخرجوا مؤلفات مدرسية في علم الاجتماع الريفي بالاشتراك مع سوروكن وزمرمان؛معنى ذلك أنه ليس هناك انفصال تام بين تياري علم الاجتماع الريفي والأنثروبولوجيا الريفية فقد تبادلا معًا التأثير وربما يعكس هذا التأثير المتبادل ذلك الفرع الذي يعرف الآن في الولايات المتحدة سوسيولوجيا المجتمع المحلي (Sociology of community) .

حينما نحاول الإشارة إلى موقف الأنثروبولوجيا الريفية في الولايات المتحدة نواجه بمقارنة مشوقة، فبينما تبلورَ هذا الاتجاه ووضعت قواعده فيها فإنه لم يجد في مجتمعاتها أرضًا صالحة للدراسة فهو مرتبط أو ارتبط تاريخيًا بالمجتمعات القروية التقليدية المتخلفة، وهي أنماط غير معروفة في الولايات المتحدة ذاتها ومن ثم اتجه أصحابه إلى مناطق أخرى من العالم لدراستها وتناوله.

وقد نالت أمريكا اللاتينية جل اهتمام هؤلاء الباحثين، وهي قدمت فرصة سانحة بمجتمعاتها القروية التقليدية، أمام هؤلاء الباحثين للدراسة؛ وفقاً لهذا الاتجاه ومن أكثر الدراسات

شهرة تلك التي أجراها روبرت ردفيلد في مقاطعة يوكاتان في المكسيك ، حيث درس أنماطًا عدة متدرجة من المجتمعات تضم قرية صغيرة ذات ثقافة شعبية، ومجتمعًا فرديًّا صغيرًا، ومركزًا حضريًّا صغيرًا ومدينة (Meria) كذلك دراسة أوسكار لويسLewis لمجتمع تبوزتلان Tepoztlan وقد مارست هذه الدراسات تأثيرًا قويًّا في عدد كبير من الباحثين في الدول النامية، كما نجحت إلى حد كبير في تحليل المجتمع القروي وفهمه بوصفه كلًا متساندًا مع الأخذ في الحسبان ذلك الانتقاد الذي يوجه إلى هؤلاء الأنثروبولوجيين والذي يتمثل في أن ما يعدونه قرى قد تكون مدنًا أو أسواقًا صغيرةً تمدُّ وحدات أصغر منها ـ وهي الوحدات الريفية الحقيقية ـ بالخدمات الاقتصادية والسياسية والإدارية، ومن ثم فإن مجتمع تبوزتلان حيث توضح بيانات أوسكار لويس أن هذا المجتمع كان يضم وقت دراسته أكثر من أربعة آلاف نسمة، كما كان أيضًا، ولفترة طويلة مقرًّا للإشراف الحكومي، ومركزًا اقتصاديًّا لعدد من المجتمعات الأصغر التي تضم كل منها أقل من خمسمائة نسمة، ومما لا شك فيه أن سكان هذه الوحدات الأصغر والمحيطة بـ تبوزتلان كانوا ينظرون إليها كونها الواجهة المطلة على العالم الخارجي.

ث– الدراسة الاجتماعية الريفية في أوروبا:

ظهر علم الاجتماع الريفي بالمعنى الأمريكي في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، ويبدو ذلك مدهشًا لأول وهلة. وبخاصة إذا أخذنا في الحسبان أن قطاعًا مهمًّا من السكان الأوروبيين ما يزالون ريفيين من حيث الإقامة؛ فضلًا عن أن أصول علم الاجتماع العام أصول أوروبية وليست أمريكية [16] .

وهذا لا يعني أنه لم تكن في أوروبا دراسات تهتم بالحياة الريفية ؛ بل كان هناك دراسات من أبرزها دراسة للباحث دوبولد فونفيز (D.V Wiese) بعنوان: (القرية Ssdofe عام 1928) وأجريت عدة دراسات في هولندا عن المناطق الريفية في جامعة أمستردام، وفي فرنسا وألمانيا أجريت عدة دراسات، ولكن مناهج دراستها كانت مختلفة عن المتبع الآن فيما يعرف بعلم الاجتماع الريفي.

ومن أسباب تأخر ظهور علم الاجتماع الريفي بالمفهوم الأمريكي في أوروبا حتى هذه المرحلة المتأخرة انقطاع الصلات بين دارسي علم الاجتماع الأوروبيين والأمريكيين قبل الحرب، ويضاف إلى ذلك أن المناخ السياسي الذي ساد أوروبا في هذه الفترة لم يعق نمو الاجتماع الريفي في أوروبا فقط؛ وإنما أوقف تقدم علم الاجتماع العام ونموه كذلك ، فتوقفت إسهامات

---

[16] ـ محمود عودة، المرجع السابق نفسه، ص29.

إيطالية (بلد بارتيو) تحت الحكم الفاشي، وتوقفت إسهامات ألمانيا (بلد ماكس فيبر) تحت الحكم النازي [17].

ولكن هذه الظروف قد تغيرت بعد الحرب الثانية، حيث حدث اتصال وثيق بين العلماء الأوروبيين والأمريكيين، وأغرقت المؤلفات الاجتماعية الأمريكية السوق الأوروبية العلمية بما في ذلك منشورات علم الاجتماع الريفي، وأحاط الأوروبيون علمًا بهذا الوضع الجديد، وبدأ العلماء الأوروبيون يعيدون النظر في الوضع الأكاديمي لعلم الاجتماع الريفي، وبدأ المتخصصون في الإرشاد والخدمات الإرشادية يدركون أن مشكلات الفلاح الاقتصادية لا يمكن أن تحل تمامًا بواسطة الأساليب الاقتصادية والفنية الخالصة، وبدأوا يدركون أن العمل الإرشادي ليس عملًا طائشًا ، ولكنه يقوم أساسًا على المعرفة المستمدة من علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما من العلوم الاجتماعية.

ودخل علم الاجتماع الريفي جامعة استوكهولم 1960م كجزء منفصل عن علم الاجتماع العام وكذلك جامعة فاجن جن في هولندا، فضلًا عن أن الباحث الذي يرغب في مواصلة التخصص في دراسته يتفرغ تفرغًا تامًا لدراسته للدكتوراه، ويستطيع أن ينجزها في عامين؛ بينما التخصص التام في علم الاجتماع الريفي يحتاج إلى سبعة أعوام، وهنالك تخصص مماثل في كلية الزراعة بالنرويج، وهنالك الكثير من دراسات التخصص قامت بها الحكومات والمؤسسات في إيطاليا وفرنسا وألمانيا، وشكلت جمعيات بعلم الاجتماع الريفي تهتم بثقافة المجتمعات الريفية وقيمها ومشكلاتها [18].

بعد ذلك ظهرت عدة دراسات في الدول الأوروبية عن المجتمع القروي منها دراسة شاملة عن قرية إنكليزية للعالم و.م .وليامز (W.M.Williams) عن تنسيق القرية وعلاقتها بالأسلاف الأخرى . ودراسة بعنوان اختبار القادة في قرية بوللييبيج في بولندا الشمالية أجريت بين عامي (1952–1953)، ودراسة لـ جالسكي (Galeski) حول التقسيم الطبقي الاجتماعي للمناطق الريفية في بولندة [19].

وفي الاتحاد السوفييتي السابق أجريت دراسات عدة حول المزارع الجماعية وما تحويه من عناصر مثل ميكانيز مات تغير طريقة الحياة القديمة في الريف السوفييتي والعلاقة بين القروي والبيئة المحيطة به والأسس الاقتصادية للمزرعة الجماعية، والإنسان في نطاق العمل، وتوزيع الدخل بين المزارعين، والنظام الديمقراطي للمزرعة، والأسرة والحياة اليومية المجتمعية ، والعلاقات الاجتماعية بين الناس، وهناك دراسات حول المزارع السوفييتية اهتمت بموضوعات

---

[17] - محمود عودة، المرجع السابق نفسه، ص30-31.
[18] - أديب عقيل، أحمد الأصفر، علم الاجتماع الريفي، جامعة دمشق، دمشق،2001، ص16.
[19] - محمود عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، مرجع سبق ذكره، ص36- 37 .

الإدارة الذاتية في المزرعة والمطامح المهنية والعلمية لدى صغار الفلاحين والحياة الزوجية في المزارع الجماعية قام بها كل من سيموس وسترا فيرف واسييوف وهنالك الكثير من الدراسات التي تناولت المجتمع الريفي، واتجهت هذه البحوث والدراسات الريفية بتوضيح أثر الحضارة الصناعية الرأسمالية في الاقتصاد الريفي والبناء الاجتماعي الريفي، ودراسة التنمية الريفية والبحث عن أصول المجتمعات المحلية الريفية وطبيعتها، والعوامل المؤثرة والمشكلات التي تعاني منها.

وتعد هذه الدراسات بحق ، وبالوجهة التي ظهرت عليها ، دليلًا واضحًا على تقدم البحوث الريفية وعدّها من الدراسات الرائدة من الناحية النظرية والمنهجية .

تبقى الناحية الثانية التي لا بدّ من الإشارة إليها وهي أن بعض الجامعات الأوروبية قد قادت حركة الدراسات القروية في الدول النامية، وبخاصة بعض جامعات إنكلترا التي شجعت الدارسين فيها على العودة إلى بلادهم لإجراء دراساتهم القروية، ومن ثم وجهت اهتمامهم نحو الاستمرار في هذا الضرب من الدراسات، وصدرت معظم هذه الدراسات في سلسلة المكتبة الدراسية لعلم الاجتماع ، وإعادة البناء الاجتماعي .

ومنها دراسة حامد عمار عن التنشئة الاجتماعية في قرية مصرية ودراسات ديوب (Dupe) عن قرية هندية و(قرى الهند المغيرة) وغير ذلك مما سوف نعرض له بالتفصيل عند حديثنا عن الدراسات الاجتماعية الريفية في الدول النامية.

جـ– الدراسات الاجتماعية الريفية في الدول النامية:

إن الدراسات التي أجريت في البلدان النامية بواسطة باحثين محليين وباحثين من خارج البلدان النامية أو باحثين درسوا في أوروبا وأمريكا، وسوف نعرض بعض هذه البحوث والدراسات.

- **أمريكا اللاتينية:** من الجدير بالذكر أن هذه الدول كانت مجالًا خصبًا للدراسات والبحوث التي أجراها باحثون من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وأشهر هذه الدراسات التي أجراها روبرت – دفيلد عن المجتمع القروي كذلك دراسات أوسكالويس [20].

وفي كولومبيا قام إيفرت روجرز بدراسة عن الاتصال الجمعي والتحضر بين القرويين، ودراسة في (جوانيمالا) قام بها تشارلي وجلة دراسة عن الحياة الاجتماعية والدينية في قرية من قراها [21] .

ومن خلال هذه النماذج نلاحظ أنه ليس هناك باحث واحد ينتمي إلى أمريكا اللاتينية ووفقًا للدراسات المتاحة أمامنا يمكن أن نعد الدراسات الاجتماعية الريفية في أمريكا اللاتينية جزءًا مكملاً للدراسات الاجتماعية في أمريكا.

---

20 - A.Lutfiyya,Baytin,A.jordanian Village,Moutonand Co. London ,the Hagparis ,1966
21 - محمود عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، مرجع سبق ذكره، ص40.

- **الهند وسيلان:** دخل علم الاجتماع الجامعات الهندية نحو عام 1950، وكان يدرَّس في أربع جامعات، ولكن الدراسات في علم الاجتماع الريفي كانت قليلة، ولكن هناك باحثون تلقوا تعليمهم في الولايات المتحدة الأمريكية أجروا الدراسات أمثال: ستادال داسجوتبا حول الاتصال والتجديد في قرى هندية عالج فيها مصادر المعلومات باختلاف نمط النشاط أو المهارة المحسنة، وقسم المزارعين إلى ثلاث مجموعات: مجددين، متبنيين مبكرين، ومتبنيين متأخرين [22].

وهناك دراسة أجراها ديوب بعنوان: قرية هندية، وتتكون الدراسة من 248 صفحة يعالج فيها وضع القرية، والبناء الاجتماعي والاقتصادي، ويركز على الطقوس والمراسيم والروابط العائلية ومستويات المعيشة المشتركة والتغير الحاصل في القرية .

وهنالك الكثير من الدراسات لـ أوبان ماير بعنوان: الطائفة والقرية في وسط الهند، ودراسة هاسويل R.Haswell بعنوان: اقتصاد التنمية في قرية الهند. ودراسة أوشران بعنوان: التقليد والاقتصاد في قرية هندية، ودراسة أبلر وسينغ بعنوان: تقسيم العمل في قرية هندية نشرت عام 1948 [23] .

ومن خلال هذا العرض نستطيع أن نقول إن هناك دراسات اجتماعية ريفية في الهند، وفي سيلان أجريت الكثير من الدراسات عن القرية السيلانية تناولت القرية بكل جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والتغييرات الاجتماعية الحاصلة .

- **الشرق الأقصى (اليابان والصين):**

ليس بأيدينا دراسات اجتماعية ريفية عن هذه سوى القليل. فهناك بعض الدراسات الشهيرة التي قام بها باحثون أمثال جون أمبري (Empre) وهو باحث غير ياباني. وهي دراسة أنتربولوجية لقرية يابانية، تتكون من خمسة فصول تتناول بالترتيب الخلفية التاريخية، وتنظيم القرية والأسرة، والعائلة وأشكال التعاون والطبقات والروابط الاجتماعية، وتاريخ حياة الفرد، والدين والتغير الذي يجري في قرية سويا مورا، والدراسة في حد ذاتها غير كافية لتقويم موقف الدراسات الاجتماعية الريفية هناك [24].

22 - Lerner ,Treassing of Tradition ,Society : Mdernization of the Middle East London free press ,1944

[23] - أديب عقيل، أحمد الأصفر، علم الاجتماع الريفي، مرجع سبق ذكره، ص 17.

[24] - محمود عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، مرجع سبق ذكره، ص44.

وهناك الكثير من الدراسات في الصين منها دراسة أجراها مارتن يانج (M.Yag)، نشرت في لندن عام 1946، بعنوان: قرية صينية، ونشرت دراسة أخرى عام 1959 بعنوان: ثورة في قرية صينية أجراها كل من دايفيد وإزابيل كروك، وهما ليسا صينيين، وتناولا التغيرات التي طرأت على هذه القرية.

لقد ارتبطت معظم الدراسات في الغالب بأسماء أجنبية وهي لا تعبر عن موقف الدراسات الاجتماعية الريفية هناك؛ لأن هذه الدراسات مرتبطة بمصالح أجنبية من أجل التعرف إلى طبيعة هذه المجتمعات والعمل على استغلالها والسيطرة عليها.

- **الشرق الأوسط:**

يفتقر الشرق الأوسط للدراسات الاجتماعية بشكل عام والريفية بشكل خاص، ولم تلمع أسماء محلية فيما يتعلق بالدراسات الاجتماعية الريفية في الشرق الأوسط، ومعظم البحوث الاجتماعية قام بها باحثون أجانب بمساعدة باحثين محليين، وهناك دراسات قام بها باحثون محليون بالجهود الفردية ، ومن هذه الدراسات دراسة عبد الله لطيفة عن إحدى قرى الضفة الغربية بالأردن [25] .

والدراسة تتعرض لثقافة القرية، والمعتقدات الشعبية والطقوس الدينية، وتتعرض للنظم الاجتماعية والتغير الاجتماعي في مجتمع قروي تقليدي، والدراسة من حيث منهجها تتبنى تقنيات الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية كالمعايشة والاعتماد على الإخباريين وغير ذلك وهي تعد بحق رائدة في هذا المجال في تلك المنطقة من العالم وربما كانت الأولى من نوعها التي يقوم بها باحث محلي، وهناك دراسة بعنوان تحول المجتمع التقليدي – تحديث الشرق الأوسط(لدانيال ليرينر عام 1950) وأجريت في سبعة بلدان، هي: (اليونان، تركيا، مصر، لبنان،الأردن، سورية وإيران)، تناولت الدراسة التأثيرات المتبادلة بين القيم والتنمية والتحديث في تغير القيم والدور الذي تؤديه القيم في التنمية والتحديث في الريف [26].

على الرغم من النقد الذي توجه إلى دراسة ليرنير، فإنها تعد من الدراسات الرائدة والمهمة التي تركت بصماتها على دراسات عديدة في مجال التنمية والتحديث، حيث اعتمد عليها كثير من الباحثين، كما أنها زودت الباحثين بأفكار وقضايا نظرية انطلقت منها دراستهم، كما كشفت عن طبيعة التأثيرات التبادلية بين القيم والتحديث وأهمية البعد القيمي في استراتيجية التنمية.

---

[25] - محمد الجوهري، علياء شكري، علم الاجتماع الريفي الحضري، الطبعة الأولى، 1980، ص133.

[26] - Danieilernef. Thepassing of Traditeonal Society –Modernizing the middle East , thitd Edition , the free press new york ,1966 , pp:79-80

كما قام ماير ستايكوس بدراسة عن الدور الذي يؤديه قادة الرأي في برنامج لتنظيم الأسرة في قرية تركية معتمدًا فيها الاستمارات المحددة باستبيان البيانات ومعالجتها إحصائيًّا.

كما أجرى أصفر فتحي دراسة عن القيادة ومقاومة التغير في إحدى القرى التركية، باستخدام طريقة دراسة الحالة محاولًا أن يوضح العلاقة بين خصائص البرنامج التغيري، والقيم الموجودة في المجتمع المحلي، وكذلك الطريقة التي يصل بها الفرد إلى اتخاذ قرار بقبول هذا البرنامج التغيري [27].

وأجريت دراسة عام 1952 بعنوان: البناء الطبقي في قرية مصرية لـ أحمد مجدي حجازي تعرض الباحث إلى نشأة كبار الملاك وتطورهم والعوامل التي أدت إلى نشأة طبقة الفلاحين الفقراء، وما صاحب ذلك من صراع طبقي وخاصة في قريتي لمشيش والدلاتون[28].
ويتحدث الباحث عن الوجود والوعي الطبقي في هاتين القريتين، وعلاقة الطبقات الاجتماعية بالسلطة، وأشكال الاستغلال وصوره في القريتين، وانتهى الباحث إلى تصور الطبقات على أنها أغنياء ومتوسطون وفقراء.

وهناك كثير من الدراسات التي أجريت في الجامعات المصرية التي تقوم على الجهود الفردية، منها: دراسة عن مظاهر التغير الاجتماعي رسالة دكتوراه عام 1959 في جامعة الإسكندرية [29]. وخرج الباحث من دراسته الميدانية إلى أنه برغم تفكك الروابط الاجتماعية القائمة على أساس القرابة، إلا أن الأفراد مازالوا يعيشون بعدهم الاجتماعي عن غيرهم بمقياس المركز القرابي ، حيث إن القرويين لا يعدون أنفسهم متساوين إذا تماثل مركزهم الاقتصادي فقط. وعدّت الدراسة أن المهاجرين القرويين عندما يستقرون بصفة دائمة في أماكن عملهم الجديدة يكون شعورهم بالانتماء إلى القرية أقوى من شعورهم بانتمائهم الطبقي.
وهناك الكثير من الدراسات التي أجريت في جامعة عين شمس تقوم على الجهود الفردية منها دراسة: د. سالم عبد العزيز محمد عام 1971، حول التعليم والتغيير الاجتماعي في القرية المصرية. ودراسة د. حسن الخولي حول الآثار الاجتماعية للخدمة العسكرية في ثقافة الفلاح المصري عام 1976، رسالة ماجستير لمحمد عبد النبي حول: التحول الاجتماعي وبناء القوة في القرية المصرية عام 1979، وتبحث هذه الدراسة التغيرات التي طرأت على أوضاع مختلف القوى الاجتماعية في الريف المصري عبر التاريخ [30].

---

[27] - أحمد، غريب محمد سيد، علم الاجتماع الريفي، دار المعارف، الإسكندرية، 1989، ص38.
[28] - محمود عودة، دراسات في علم الاجتماع الريفي، مرجع سبق ذكره، ص47.
[29] - أحمد مجدي حجازي، البناء الطبقي في قرية مصرية: دراسة اجتماعية ميدانية في قريتين مصريتين ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس 1975.
[30] - جمال المحاسب، علم الاجتماع الريفي، دار اليقظة العربية، دمشق، سورية،1955

وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة قياس التغيير الاجتماعي الناتج عن إتاحة فرص التعليم في القرية المصرية ، وذلك من خلال دراسة ميدانية لقريتين، هما: قرية كفر المصلحة وقرية كفر البثانون، وهنالك الكثير من الدراسات التي أجريت في باقي الجامعات المصرية والعربية التي تبحث في التراث الشعبي والزواج والوفاة والهجرة، وقد حاولت أن تسير كل الدراسات على منوال واحد أو على الأقل نهج متقارب و لكن برغم وجود بعض الاختلافات الفردية فقد بذلت هذه الدراسات جهدًا كبيرًا في استعراض الظروف التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية.

يذكر الدكتور حسن الساعاتي أن تدريس علم الاجتماع في مصر بدأ عام 1925، في الجامعة المصرية التي أصبحت تسمى الآن جامعة القاهرة، وكانت تحت سيطرة الفلسفة في كلية الآداب ومنذ عام 1947، بذلت محاولات لتحرير علم الاجتماع الريفي كمادة مستقلة في أقسام علم الاجتماع والاقتصاد والزراعة والآداب[31].

وأما في سورية، فإن الدراسات الريفية مثلها مثل باقي الدول العربية كانت عبارة عن جهود فردية قام بها بعض الباحثين، ومعظم هذه الدراسات كانت عبارة عن رسائل ماجستير أو دكتوراه .

في جامعة دمشق دُرِّس علم الاجتماع الريفي لأول مرة عام 1954 –1955 في كلية التربية لطلاب السنة الثالثة الذين يهيؤون لشهادة علم الاجتماع .

وأول كتاب في هذا المجال في سورية للباحث جمال المحاسب 1955م بعنوان: علم الاجتماع الريفي.

وهنالك بعض الدراسات في سورية تعالج قضايا الريف : منها : دراسة للدكتور محمد صفوح الأخرس، في قرية حوارين درس مجتمع القرية من الناحية الاجتماعية كمستوى المعيشة والحالة العائلية وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض وحالة الزواج... الخ .

أجريت الدراسة 1969م، وكان غرض هذه الدراسة:

- الوقوف على طبيعة الحياة الاجتماعية في قرية حوارين.
- حصر جميع الإمكانات والموارد الموجودة فيها.
- تحديد أنواع النشاط والخدمات القائمة في القرية.
- تحديد بعض الخصائص الأساسية للمجتمع الريفي.

وهنالك رسالة ماجستير لـ سمير حسن بإشراف الدكتور خضر زكريا 1985 م، بعنوان: الاندماج الاجتماعي للمهاجرين الريفيين في الحياة الحضرية في مدينة طرطوس. ودراسة لـ عادل عبد السلام، بعنوان: المرأة والأرض في البيئة الريفية السورية عام 1987م، ودراسة لـ ريمون المعلولي

---

[31] - **محمد صفوح الأخرس، ميادين علم الاجتماع، دمشق، 1981، ص112.**

1996م بعنوان: بنية الأسرة الريفية وتطورها وعلاقاتها بالتربية، ودراسة لـ يحيى قسام 1998م بعنوان: القيم الاجتماعية في الريف. وعلم الاجتماع الريفي كمادة مستقلة يدرس في كلية الزراعة منذ عام 1985م تحت عنوان المجتمع الريفي والإرشاد الزراعي تأليف الدكتور: إسكندر إسماعيل – وهيثم سخية، وفي قسم علم الاجتماع أصبح مقررًا في الخطة الدراسية العام1986_1987م ويجدر بنا أن نشير إلى أن قسم علم الاجتماع حتى عام 1999م كان تابعًا لقسم الفلسفة، وآخر كتاب لعلم الاجتماع الريفي كان للدكتور أديب عقيل و الدكتور أحمد الأصفر يدرس لطلاب السنة الثالثة في قسم علم الاجتماع عام 2000 – 2001م، وفي السنوات الأخيرة ظهرت عدة دراسات للمجتمع الريفي في قسم علم الاجتماع .

مما سبق نلاحظ تأخر نشوء علم الاجتماع الريفي في البلدان العربية بشكل عام، وسورية بشكل خاص.

ويرجع الدكتور محمود عودة أسباب تخلف الدراسات في علم الاجتماع الريفي في البلدان النامية ومنها الدول العربية إلى: [32] .

– عدم حصول علم الاجتماع العام على الدعم الكافي في هذه الدول، مثلا أول مسابقة لخريجي علم الاجتماع في سورية كانت عام 2002.

– تبعيتها لأقسام الفلسفة ، ففي سورية استقل علم الاجتماع عن الفلسفة عام 1999م.

– عدم الاعتراف الرسمي بأهمية الدراسات الاجتماعية بوجه عام والريفية بوجه خاص.

– التخطيط في معظم الدول العربية والنامية تخطيط اقتصادي خالص، ويهملون العوامل الاجتماعية والثقافية ويتجاهلون دورهما في التأثير في السلوك الاقتصادي ذاته.

– انشغال الباحثين الاجتماعيين بالكتب المدرسية والتعليمية وعدم الاهتمام بالبحوث والدراسات الميدانية.

ويعرض الدكتور عبد الكريم الأمير حسن إلى بعض الصعوبات التي توجه الباحث الاجتماعي الميداني، ومنها:

– عدم تجاوب بعض الأسر مع فريق البحث، ورفضهم الإجابة عن الاستمارة وأحيانًا إغلاق باب المنزل في وجوه فريق البحث بمجرد سماعهم بأننا نقوم ببحث اجتماعي.

– سخرية بعض المواطنين من البحث الذي نقوم به، وتأكيدهم أننا لا نعاني من مشكلة سكانية، وبالتالي فنحن لا نحتاج إلى تنظيم الأسرة فضلًا عن تأكيدهم أن الأمية ليست مشكلة ولا تقف عائقًا في وجه أي طالب للعمل أو الزواج، فضلًا عن تأكيدهم على الدور السلبي للإعلام في المجالات جميعها.

---

[32] - محمد عودة، مرجع سبق ذكره، 1983، ص47-50.

– خوف بعض المواطنين من الإجابة عن السؤال المتعلق بمقدار الدخل الشهري ظنًا منهم بأننا قد نكون من جامعي الضرائب أو المالية [33].

على الرغم من هذه الصعوبات والمشكلات التي تعاني منها الدراسات التي أجريت فهي تشكل نماذج جيدة للجهود العلمية المبذولة من أجل زيادة معرفتنا بالجوانب الاجتماعية والثقافية والتربوية لريفنا السوري عامة.

ولعل هذه الدراسات التي أجريت والتي تتيح الفرص لمعرفة أكثر دقة وموضوعية بالمجتمع الريفي؛ آملين أن نتمكن في المستقبل من تطوير هذه الدراسات نحو الأفضل.

وتشير الأمثلة الموجزة السابقة حول العلم في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والبلدان النامية إلى أن نشأة العلم وتطوره في كل بلد، ارتبط وتأثر بالحاجات المجتمعية الرسمية التي تحددها الدولة.

إذا كان كل علم من العلوم تتحدد معالمه من خلال نظريته وموضوعه المحدد ومنهجه وأهدافه فسوف نجد أنه ليس لعلم الاجتماع الريفي نظرية محدودة وبالمثل أيضًا ليس له منهجًا خاصًّا فالعمل الذي تم في مجال علم الاجتماع الريفي لم يتمخض عن تقدم في مجال النظرية العامة في العلم، أو في مجال المنهج، حتى أن بعض علماء الاجتماع رأوا نتيجة لذلك أن علم الاجتماع الريفي يجب ألا يلحق بعلم الاجتماع؛ وإنما الأصح أن يظل نوعًا من الدراسات المتعلقة بالزراعة والإنتاج الزراعي[34].

وإذا ما استعرضنا التراث السوسيولوجي العربي الخاص بعلم الاجتماع الريفي لوجدنا الدكتور علي فؤاد يقرر أن علم الاجتماع الريفي فرع من فروع علم الاجتماع يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية الناشئة عن تجمع الأفراد في البيئات الريفية، وعن اتصال سكان الريف بالحضر والاختلاف بين المجتمعين، على أن تقوم هذه الدراسة حسب القواعد العلمية التي يستمدها من علم الاجتماع العام [35].

ويذهب الدكتور إمام سليم إلى أن علم الاجتماع الريفي هو علم تجريبي بالنسبة إلى علم الاجتماع النظري الذي بواسطته تطبق الأسس والطرق العلمية للبحث في دراسة الريف وحالته الاجتماعية [36] .

---

[33] - ندوة البحث العلمي في المجالات الاجتماعية في الوطن العربي، وزارة التعليم العالي، دمشق، 1999، ص252-253.
[34] - محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، دار المعارف، 1967 ص427-438.
[35] - عبد الحميد محمد سعد، علي فؤاد أحمد، المدخل المورفولوجي لدراسة المجتمع الريفي، دار الثقافة، القاهرة، 1980، ص36.
[36] - إمام سليم، المجتمع الريفي، دار الثقافة والعلوم، القاهرة، 1959، ص8.

وفي ضوء ما تقدم يمكن عَدُّ علم الاجتماع الريفي علمًا وصفيًّا تقريريًّا يهدف إلى دراسة المجتمع الريفي دراسة علمية تحليلية للوقوف على طبيعة هذا المجتمع واتجاهاته ونواحي التخلف والتقدم فيه حتى يتسنى رسم سياسة واقعية لتنميته وصولًا به إلى مجتمع أفضل.

نستخلص من متابعتنا للتطور الاجتماعي لعلم الاجتماع الريفي في الوطن العربي في سياق تاريخي أن هوية العلم أصبحت تبدو اليوم أكثر وضوحًا عما كانت عليه من قبل، والفضل في ذلك يرجع في المقام الأول إلى نشوء الجامعات وتطورها في المنطقة، حيث ولد وتربى في أحضان هذه الجامعات.

إن علم الاجتماع الريفي ظهر بسبب الحاجة المجتمعية وتطور علم الاجتماع وظهور التخصصات الدقيقة لدراسة مشكلات اجتماعية عانى منها الريف العربي، ونال الدعم من الجامعات العربية بشكل كبير وواسع.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه إذا كان جهد بعض علماء الاجتماع العرب قد انصب على التقليد والنسخ، لذلك كان لا بد من أن يحصل لجدّة تجربة البحث في ميدان علم الاجتماع.

وإذا كان علم الاجتماع الريفي علمًا مأخوذًا من أمريكا، فليس معنى ذلك أننا نقلد أمريكا ونتتبع وننقل الأطر البحثية لنظريات هذا العلم على المجتمع العربي.

كما أن إيجاد صيغة جديدة لبحوث هذا العلم أمر ينبغي ألا يرفض الجهد الأمريكي، بل الإفادة منه وتطويره عربيًا في النظرية والتطبيق.

لأن لكل مجتمع تاريخٌ مرَّ به، وتعامل مع أحداثه، وله خبرة وطريقة في التعامل مع الآخرين، أو عدم إقحامِ تفاسير الظواهر الاجتماعية في مجتمع آخر وفرضها عليه.

ولكل مجتمع طريقته الخاصة في النشوء والتطور، ومنهج العلم واحد، ولكن طريقة التعامل مع المشكلات تختلف من مجتمع لآخر.

إذاً الحاجة لا تزال شديدة إلى الإصلاح الاجتماعي في الريف، وذلك باتخاذ التدابير الآتية:

- يجب أن تشمل التغيرات الريف والمدينة.
- التحول الجذري بالبنية الاقتصادية الريفية نحو الأفضل وذلك بإنعاش الريف بجوانبه كافة.
- تنظيم الأرياف وعمرانها وتقديم كافة الخدمات اللازمة كافة.
- محاولة ترميم البيوت القديمة.
- توجيه الباحثين والدارسين نحو المشكلات الريفية ، ومحاولة اقتراح الحلول المناسبة.
- خدمة الريف و العناية به تعد الخطوة الأولى و الدعامة الأساسية التي يشيد عليها بناء النهضة القومية العامة، ولا يمكن للتنمية أن تستمر من دون الأخذ بأسباب النهوض الحقيقية، وما لم تتجه إلى الريف المحروم من الرعاية و المحتاج إلى كل ألوانها، وما لم

نوفر له من القوى المادية والمعنوية والجهود العلمية والعملية ما يحقق له إنعاشًا اجتماعيًّا عامًا يرفع من مستوى الحياة فيه، ويكفل لسكانه أن يعيشوا أصحاء في أجسامهم وعقولهم؛ مستغلين إمكاناتهم واستعداداتهم؛ متعاونين تعاونًا ذاتيًّا على تحقيق المصالح المشتركة والمشاريع العامة التي تنهض بالريف في نواحيه المختلفة.

ـــــــــــــــــــ انتهـــــــــــــى ـــــــــــــــــــ

مع التمنيات بالتوفيق

الدكتورة عبير سرور